Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i2

الاعلام السياسي ودوره في تأجيج او اخماد الصراعات الطائفية في العراق بعد عام 2003

د. عماد محمد صالح عبد الحسين العصاد
قسم الاذاعة و التلفزيون ,كلية الاعلام ,جامعة ذي قار ,الناصرية , العراق , emad.alassad@utq.edu.iq

الملخص

هدف البحث الى الكشف عن دور الاعلام السياسي في تأجيج او اخماد الصراعات الطائفية، وتأتي أهمية البحث من أهمية موضوعه اذ تعتبر وسائل الاعلام السياسي احد اسباب تأجيج الصراعات الطائفية، كما يمكن لها أن تلعب دور في اخماد هذه الصراعات، و اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي نظراً لملائمته لمتطلبات البحث، وقد تم تقسيم البحث الى ثلاثة مباحث شاملة اضافة الى المقدمة وخاتمة تحتوي على أبرز النتائج والتوصيات، وقد توصل الباحث الى عدة نتائج، أبرزها: تلعب وسائل الاعلام السياسي دورا بارزا في تأجيج الصراع الطائفي وذلك من خلال الدعاية الطائفية، وان من ابرز أساليب الاعلام السياسي في تأجيج الطائفية إشاعة خطاب الكراهية، والترويج للإرهاب وتصوير الصراعات السياسية بأنها طائفية، كما أن الاحتلال الامريكي ساهم بأن يكون الاعلام العراقي في طوق دائرة الطائفية والعشائرية، ويمكن لوسائل الاعلام السياسية أن تلعب دورا في اخماد الطائفية، وذلك من خلال تأكيد الشعور بالهوية الوطنية وادارة الصراعات السياسية.

الكلمات المفتاحية : الاعلام السياسي، الطائفية، العراق، تأجيج، اخماد.

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v15i2

Political Media and its Role in Fueling or Suppressing Sectarian Conflicts in Iraq After 2003

Imad Mohammed Saleh Abdul-Hussein Al-Assaad
Department of Radio and Television, College of Media, University of Dhi Qar, Nasiriyah, Iraq,
emad.alassad@utq.edu.iq

Abstract

The research aimed to reveal the role of political media in fueling or putting down sectarian conflicts, and the importance of the research comes from the importance of its subject, as the political media is one of the reasons for fueling sectarian conflicts, and it can also play a role in putting down these conflicts, and the researcher followed the descriptive analytical approach due to its suitability to the requirements of the research, and the research was divided into three comprehensive investigations in addition to the introduction and conclusion containing the most prominent results and recommendations, and the researcher has reached several results, most notably: The political media plays a prominent role in fueling sectarian conflict through sectarian propaganda, and that one of the most prominent methods of political media in fueling sectarianism is the spread of hate speech, the promotion of terrorism and the portrayal of political conflicts as sectarian, and the American occupation contributed to the Iraqi media being in the circle of sectarianism and tribalism, and the political media can play a role in putting down sectarianism, by emphasizing the sense of national identity and managing political conflicts.

Keywords: political media, sectarianism, Iraq, fueling, putting down**.**

المقدمة

ان الاعـلام السياسـي يلعـب دورا هامـا مـؤثرا فـي عمليـة الارتـدادات السياسـية سـوآءا علـى مسـتوى الفـرد او الجماعـة و قـد تباينـت ردود الافعـال بـين المجتمعـات المختلفـة و قـد ادى الـدور الاعلامـي المـؤدلج و المنحـاز طائفيـا او عرقيـا دورا سـيئا فـي تـأجيج و تـأزيم المواقـف بينمـا كـان للإعـلام السياسـي المحايـد وقفـة مـع الجمهـور الـذي كـان يقـف علـى الحيـاد و لـم يكـن يومـا طرفـا فـي اشـتعال الحـرب الطائفيـة هنـا او هنـاك و تأسيسـا علـى ذلـك لقـد تأرجحـت المواقـف و انكفئـت فـي الـبعض منهـا و اعطـت انطباعـا غيـر محمـود لكـن الاعـلام السياسـي فـي الجانـب الاخـر تـآزر و اعطـى مواقـف محايـدة غير منسجمة مع الاعلام المنحاز فقرة فرعية

مشكلة البحث

لطالما كان للإعلام سلطة قوية في ادارة الصراعات المختلفة، وفي العراق تطرح اشكالية الصراع الطائفي العديد من القضايا أبرزها آليات توظيف وسائل الاعلام السياسية للورقة الطائفية ومدى استغلالها في الفضاء الاعلامي، وامتداد الصراع المذهبي اليها، وعلى هذا يفضي الصراع الطائفي اعلاميا في العراق تداعيات تحولت بفعل عوامل داخلية وخارجية الى آثار وخيمة على بنية المجتمع العراقي وبالنظر الى فسيفساء المجتمع العراقي المكون من عدد من الطوائف التي أفضت شكلا الى حالة تنوع وانعكست اعلاميا الى خلاف مذهبي وديني سرعان ما تحول الى صراع ضمن الفضاء الاعلامي السياسي، لذا فهذه الدراسة تبحث في اشكالية : ما مدى دور الاعلام السياسي في تأجيج او اخماد الصراعات الطائفية ؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من أهمية موضوعه اذ تعتبر وسائل الاعلام السياسي احد اسباب تأجيج الصراعات الطائفية، كما يمكن لها أن تلعب دور في اخماد هذه الصراعات، لذلك من الضروري التعرف على هذه الوسائل الاعلامية والكشف عن دورها في تأجيج او اخماد الصراعات الطائفية.

هدف البحث:

ان الهدف الرئيسي للبحث هو التعرف على دور وسائل الاعلام السياسي في تأجيج أو اخماد الصراعات الطائفية، ويتفرع من الهدف الرئيسي الأهداف الفرعية التالية:

- التعرف على مفهوم الاعلام السياسي ومفهوم الطائفية.

- التعرف على دور وأساليب وسائل الاعلام السياسي في تأجيج الصراعات الطائفية.

- التعرف على دور وأساليب وسائل الإعلام السياسي في اخماد الصراعات الطائفية.

حدود البحث

الحدود الموضوعية: يتناول البحث في حدوده الموضوعية (دور الاعلام السياسي في تأجيج او اخماد الصراعات الطائفية)

الحدود المكانية : يتناول البحث في حدوده المكانية (دولة العراق)

الحدود الزمنية: يتناول البحث في حدوده الزمنية الفترة ما بين (2003-2025)

منهجية البحث

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته وذلك نظراً لملائمته لمتطلبات هذا البحث.

هيكلية البحث

اقتضى البحث أن يتم توزيعه الى ثلاثة فصول شاملة اضافة الى المقدمة وخاتمة تحتوي على أبرز النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: المفاهيم النظرية

في هذا المبحث نتناول أبرز المفاهيم المتعلقة بالبحث، كما يلي:

أولاً: مفهوم الإعلام السياسي:

إن مفهوم الإعلام السياسي يتألف من اثنين من المفاهيم الهامة و المتكاملة الأول عام و الثاني خاص ، فالإعلام عملية مستمرة و تشمل شتى القطاعات و المجالات فليس بالإمكان تخيل مجتمع معين من دون استمرار العملية الإعلامية التي يتحقق عن طريقها التوافق و الانسجام بين المجتمعات و الأفراد ، و تعتبر السياسة أحد القطاعات الحساسة و الهامة في مختلف المجتمعات نظراً للدور الذي تلعبه في تسيير أموره العامة و تنظيم شؤون المجتمع لتحقيق الغايات التي يسعى الناس إليها.

1- الإعلام :

إن Philippe Breton يعرف الإعلام بأنه : العملية التي يتم من خلالها نقل الرسائل من مرسل إلى مستقبل عن طريق قناة معينة (Breton, 2003, P.116), ، فقدّم لنا من خلال هذا التعريف عناصر العملية الإعلامية الأساسية وهي الرسالة ، المرسل ، المستقبل ، القناة ، غير أنه مقابل ذلك فقد أهمل عنصراً مهماً وهو الأثر ، فالإعلام غير محصور في النقل فحسب بل يتخطى ذلك إلى إحداث التأثير المرغوب على صعيد المتلقي.

و البعض الآخر رأى أن الإعلام هو عملية نشر المعلومات بغية تعديل أو تغيير سلوكيات و تصرفات الفرد أو الجماعة (charle & Mangeau , 2006), وهذا معناه أن الإعلام عملية تشتمل نشر المعلومات بغية إحداث تأثير لدى المستقبل ، و عيب هذا التعريف أنه جعل مهمة الإعلام محصورة في النقل فقط ، و أيضاً عدم تعيينه لجانبي عملية التواصل.

2-السياسة :

كلمة سياسة تمت ترجمتها من الكلمة الفرنسية Politic Pulnique الإنكليزية ، وهي ذات أصل لاتيني Pulu و معناها الحاضرة ، وهي تدل على اجتماع الناس الذين يشكّلون المدينة ، ومع التطور الذي شهدته المجتمعات الإنسانية على مر الأزمنة ، فإن استخدام مصطلح السياسة قد تطور ، وهنا معجم الأكاديمية قد عرفها بالتالي : هي الإلمام بكل ما له صلة بفن حكم الدولة و إدارة العلاقات الخارجية لها ، و معناها كذلك الأمور العامة و الوقائع السياسية و التكلم بالسياسة و السياسات الداخلية ، و السياسة كصفة هي كل ما له صلة أو ارتباط بحكم الدولة و الشؤون العامة و العلاقات المتبادلة بين البلدان ، و القانون السياسي وهو جملة القوانين التي تقوم بتنظيم أشكال الحكومة و تقوم بتحديد العلاقات أو الصلات بين كل من السلطة و الرعايا أو المواطنين (سليمان, 1989, ص8)، و تدل السياسة على مجموعة الأنشطة و الفضاء النوعي للمنافسة بغية الاستيلاء على السلطة و ممارستها (Chagnolland, 2010) ، وهذا التعريف دل على أن السياسة هي مجموعة أنشطة يتم ممارستها في مجال محدد أو فضاء خاص بحيث أن هذا المجال يشكل عنصراً مهماً للمنافسة بغية الوصول إلى سدة الحكم كما لم يتم إيضاح طبيعة الأنشطة التي تمت ممارستها في الفضاء النوعي .

و البعض الآخر رأى السياسة بأنها: أحد أشكال السلطة التي تتميز بخاصية احتكار إلزامية الإكراه المادي و الشرعي و القيام بممارسة هذه السلطة على مجموعة محلية بغية منع النزاعات و إدارتها ، و وضع المبادئ الناظمة للحياة المشتركة (Hassenteufel, 2011, P.7) ، وهذا التعريف أكد على أن السياسة أحد أشكال ممارسة السلطة ، و التي تتميز بأنها تمتلك قوة الإلزام و معنى ذلك إلزام الجماعات المحلية بالرضوخ للقوانين الحاكمة لهم وهذا يفضي في النهاية إلى تحقيق الغاية المرجوة للسلطة و التي تتجسد في القضاء على الصراعات القائمة بين شتى التيارات السياسية و الأطياف و للسعي لإدارتها بأفضل الطرق ، و أيضاً وضع المبادئ القانونية التي تقوم بضبط السلوك الجماهيري و تنظيم الحياة العامة و المشتركة .

3-الاعلام السياسي

يدل الإعلام السياسي على تلك الجهود الحثيثة و الواعية لبث آراء و معتقدات بغية ترسيخ رأي الدولة في نفوس الشعب ، و يعتبر ذلك أحد الوسائل الهامة لترسيخ الحكم إذا ما توجهت هذه الجهود الإعلامية إلى الخارج فتغدو دعاية سياسية من قبل الدولة ، لخلق صورة ذهنية إيجابية لدى العالم الخارجي عن تطور و منجزات هذه الدولة (مجيد, 2013, ص21) و الإعلام السياسي يعرف بأنه: مجموعة الطرق و التقنيات الإيجابية التي يستند عليها الفاعلون السياسيون بغية إدارة و مراوغة الرأي العام، ويتم ممارسة الإعلام السياسي من جانب الأحزاب و الشخصيات السياسية بهدف ضم المواطنين و حثهم على تقبل البرامج و الآراء السياسية ، و الإعلام السياسي يعتمد بشكل خاص على المزاوجة بين تقنيات الملاحظة الاجتماعية التي تخص علم الاجتماع و تقنيات ترويج المنتجات التي تخص الإشهار (Muccheilli, 2006, P.22) ، يتبين من خلال هذا التعريف أن عملية الإعلام السياسي ترتكز على أساليب متعددة و تقنيات من أجل إقناع الجماهير و الرأي العام و فرض سيطرتها عليه و التحكم فيه بحسب الوجهة التي تخدم مصلحة من يقوم على تسيير الأمور السياسية على غرار قادة الرأي و الأحزاب السياسية ، فعن طريق عملية الإعلام السياسي يستطع جميع هؤلاء من التعريف بأفكارهم و سياساتهم و شرحها وبعد ذلك حث المواطنين على القبول بها و اعتماد أفكارهم المختلفة و برامجهم السياسية المتعددة.

و البعض يعتقد أن الإعلام السياسي هو : مجموع العمليات العسكرية عن السلطات العامة و الإشراف عليها و إدارتها و التي يتم توجيهها من أجل التأثير على الرأي العام و القطاعات المختلفة و هذا بغية التعريف بسياساتها و اختياراتها و مواقفها و السعي لتفسيرها و بعد ذلك حثّ الرأي العام على تقييمها و القبول بها (Sellier, 2006, P.16) ، و يتضح من خلال هذا التعريف أن الإعلام السياسي يتجسد في مختلف العمليات و السلوكيات التي تمارسها السلطة السياسية بأقسامها و إداراتها السياسية المختلفة وذلك بهدف التأثير و السيطرة على الرأي العام ويتم ذلك عن طريق التعريف بشتى الخيارات و المواقف و السياسات التي تتبعها السلطات السياسية في إطار علاقاتها و معاملاتها ، و حث الرأي العام و الجماهير إلى قبول واعتماد تلك المواقف و التوجهات السياسية من جانب السلطات السياسية .

و البعض الآخر يرى أن الإعلام السياسي هو : المحرك الأساسي لعملية الاندماج و المشاركة و يفترض الإعلام السياسي صياغة الغايات التي تخص القوى السياسية بحسب ما يوافق توقعات الناخبين (Georis, 2005, P.5) ، وهذا التعريف يؤكد على أن عملية الإعلام السياسي مهمة جداً في مجال الاندماج و المشاركة في الحياة السياسية و الانتخابية هذا من جانب و من جانب آخر فإن الإعلام السياسي يستوجب تماشي الغايات المرجوة من قبل القوى السياسية بما يتلاءم مع مختلف توقعات و تطلعات الناخبين ، و يؤخذ على هذا التعريف هو أنه جعل عملية الإعلام السياسي مربوطة بالمسار الانتخابي فقط دون التوسع في ذكر شتى الأنشطة و العمليات السياسية التي ترتكز على الإعلام السياسي كوسيلة للتفاعل مع الأطراف المختلفة مثل الأحزاب السياسية ، نقابات العمال ، الرأي العام....

بينما Branck Freedman فقد عرف الإعلام السياسي بأنه : جملة الأساليب و التقنيات المتاحة للتفاعل السياسي و التي يتم توجيهها للرأي العام بهدف التحكم فيه و إغرائه (freedman, 2005, P.89) ، ومن خلال تعريف فريدمان للإعلام السياسي يتبين أن الإعلام السياسي يلعب دوراً هاماً في توجيه الرأي العام و السيطرة عليه ، فعن طريق عملية الإعلام بإمكان مختلف النظم السياسية مراقبة الرأي العام و معرفة توجهاته نحوها ، و بإمكان النظم السياسية التحكم في حجم المعلومات الموجهة للرأي العام و طبيعتها وهذا يؤدي إلى إيجاد نوع من الانسجام و التوافق ما بين الأنظمة السياسية و جماهيرها وذلك عن طريق ما ينتهجه الإعلام السياسي من أساليب و تقنيات فعالة يسيطر عليها الحكام و الفاعلين السياسيين ومن أبرز التعاريف التي تتعلق بالإعلام السياسي هو التعريف الذي طرحه الباحث Doeniaique Waltion و الذي يرى أنه الفضاء الذي يجري فيه تبادل

الحوارات المتعاكسة بين ثلاثة أطراف فاعلة و التي تنال الشرعية للتعبير و الحديث بشكل علني في السياسة ، وهذه الأطراف تتجسد في رجال السياسة و الإعلام و الرأي العام من خلال الاستطلاعات (Walton, 1989, P.30) ، ومن خلال هذا التعريف الذي قدمه Waltion للإعلام السياسي قد بيّن طبيعة الفاعلين

في هذه العملية وهم الإعلاميين و رجال السياسة و الرأي العام ، و من خلال هذا التعريف نستنتج أهمية الإعلاميين في هذه المعادلة باعتبارهم الوسيط بين رجال السياسة و الرأي العام في أغلب الأحيان ، و أكد الباحث على تمتع الأطراف المذكورة بسمة هامة وهي الشرعية المجتمعية للتحدث بشكل معلن في الشؤون السياسية الخاصة بمجتمعهم ، إلى جانب أن الأحاديث السياسية و الحوارات التي تدور بين الأطراف الثلاث لا تتسم بالانسجام بل بالتضارب و الاختلاف وفق Walton وهذا يعود أساساً للتباين في المصالح و الغايات التي يسعى كل طرف إلى تحقيقها .

ثانياً: مفهوم الطائفية :

يحتاج استيعاب معنى مفهوم الطائفية بصورة واضحة إلى إعطاء تعريف واقعي لها و إيضاح أسبابها الفعلية و الحقيقية في المجتمعات الإسلامية ، ورغم أن مفهوم الطائفية يعتبر أحد المواضيع التي شهدت نوعاً من المزج و التداخل في الاصطلاح وفي المعنى والذي أدى إلى ازدياد غموضها إلى جانب أنه مثل بقية المفاهيم التي طرحتها شتى الثقافات العالمية للظواهر الإنسانية ، و التي تتداخل فيها العديد من الجوانب سواء كانت سياسية أو دينية أو اجتماعية ، غير أننا سنسعى إلى إيضاح المعنى من خلال طرح تعريف أقرب ما يكون للواقع يأخذ بعين الاعتبار آراء بعض الباحثين و الكتاب الذين اهتموا بهذا الموضوع الهام ، فمفهوم الطائفية في اللغة يتم اشتقاقه من جذر متحرك و يتم أخذه من (طاف ، يطوف ، طوافاً فهو طائف) و وفق معجم لسان العرب فإن الطائفة من الشيء هي أحد أجزائه ، و قيل طائفة من الناس ، و كذلك طائفة من الليل ، و الطائفة هي مجموعة من الناس ، و الطائفة هي الرجل الواحد وما يفوقه (ابن منظور, 1981, ص226) ، و ورد في الكتاب العزيز : (و ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)(الذكر الحكيم) ، وهذا المصطلح يقابله في اللغة الإنجليزية كلمة (Sectartan) و معناها العضو في الجماعة ، أو الشخص محدود الأفق و المنغلق على أفكار جماعة محددة (العرداوي, عليوي, 2016, ص276).

نجد أن البناء اللفظي يشتمل تحرك الجزء من الكل دون الانفصال عنه بل يندرج تحت ظله أو يتحرك ضمن حدوده و ربما لصالحه و يشتمل ذلك المفهوم معنى الأقلية العددية التي تتحرك في محيط الكل إذا ما علمنا أنه مفهوم عددي و كمي ليس إلا ، لذلك يتم استخدام اللفظ ليدل على كيانات متعددة و مختلفة في خصائصها و صفاتها و يكمن القاسم المشترك فيما بينها في القلة العددية و بعد ذلك تم خلط مفهوم الطائفية ذات السكون العددي مع عدة مفاهيم تحمل آراء و مضامين فلسفية و فكرية وقد تكون دينية أو عرقية أو مذهبية ، و بهذا فقد تغير إلى الفاعلية الخاصة بالأقلية و التي تنفصل عما يكون الكل عليه لهذا بات يتم استخدام مفهوم الطائفية عوضاً عن مفاهيم (العرق و الدين و الملة) و التي كانت منتشرة قبل ذلك ، أما البعض الآخر فقد عرفها بأنها سلوك التعصب لمصلحة المجموعة التي ينتسب الشخص إليها تجاه باقي المجموعات المختلفة ، وذلك عن طريق إظهار الاختلاف معهم ، و يمكن تعريفها كذلك بأنها تمسك مجموعة محددة بمصلحتها و منظومة القيم التي تتبعها و التعصب سواء في الحق أو في الباطل (العلواني, 2015).

ومن التعاريف الهامة للطائفية أنها ميل اجتماعي أو فردي لتفضيل تفسير معين أو مدرسة فقهية لمذهب أو دين على سواها ، و يكون متأثراً بالظروف الاقتصادية و السياسية و مدعوماً بمفهوم اعتبار النفس في تفضيل أبناء المذهب أو الدين على سواه وهذه الميول قد تتزايد في بعض الأحيان إلى الدرجة التي قد تتخذ فيها صوراً عدائية تجاه الغير من الأديان و المذاهب الأخرى ،و يوجد ميل إلى النبذ وعدم القبول و أحياناً أخرى إلى العزلة ومن الممكن أن تندرج تحت مظلة تفاعل عوامل اقتصادية و سياسية و اجتماعية تمس حياة الفرد بشكل مباشر (صالح, 2016, ص33-34).

و البعض الآخر قد عرفها بأنها ميل باتجاه إيجاد أو خلق جماعات إثنية على أسس دينية أو لغوية أو ثقافية أو عرقية بهدف تقسيم المجتمع و هذا الميل أو النزعة تكون طاغية عندما يكون رجل السياسة غير وطني أو عندما تكون الدولة ضعيفة فيصبح من السهل اختراقها و النيل من تماسكها و وحدتها من خلال جعلها مقسمة إلى طوائف تتنازع على السلطة و الهيمنة على بقية الطوائف (محيسن, 2017, ص6).

بينما الدكتور عبد الخالق حسين وصفها في تعريفه بأنها نزعة سياسية ليس لها أي صلة بالعقائد المذهبية أو الدينية بل قامت باستغلال التباينات المذهبية لغايات مصلحية ليس لها علاقة بالدين و بعيدة عنه و هذه التباينات و الخلافات قد تطورت لتغدوا تعصباً أعمى يماثل العصبية القبلية (عبد الخالق, 2011) .

و الطائفية منسوبة إلى الطائفة ، و معناها التعصب لطائفة محددة ، و بالإمكان تصنيفها إلى أنواع عديدة منها الدينية و السياسية و الاجتماعية و هناك شبه تشابك أو تداخل بين هذه الأنواع.

غير أنها لا تقدم نفس المعنى ، و بالتالي فإن الطائفية هي نزعة سياسية ليس لها صلة بالعقائد المذهبية أو الدينية بل استُغلت من جانب البعض زيادة الخلافات المذهبية و ترسيخها لأهداف ضيقة بمنأى عن الدين (العرداوي, 2016, ص276).

و تلك المفاهيم قد امتزجت في وسط أو بيئة متأزمة سواء من الناحية السياسية أو من الناحية الفكرية ، والتي أفضت إلى مفهوم الطائفية ، كتعبير عن مشكلة تحياها المجتمعات العربية والإسلامية في العديد من البلدان منها : العراق ، لبنان ، سوريا ، اليمن ، البحرين ، باكستان ، السعودية ، أفغانستان ، الكويت ، إيران) ، و اعتماداً على ما سبق ذكره فإن الجزء قد تحول إلى الكل ، و البعض إلى كيان منفصل و مستقل ، و باتت الطائفية أيديولوجية و مذهب و هوية لتكون مكان الهويات الأخرى و الانتماءات العليا إلى جانب المحسوبيات ، بل بدأت بالتعالي عليها و تخطيها وقد تظهر الاستعداد للتقاطع معها و الاستيلاء على موقعها (العلواني, 2015).

وهناك فروقات جلية بين كل من الطائفة و الطائفية ، فالطائفة هي نتاج تاريخ و إرث فقهي و امتداد إجتماعي ، امتزج فيه ما هو صائب و صحيح ، ما هو خاطئ و مغلوط في بعض الأحيان ، غير أنها تبقى عبارة عن تكوين أصيل و موجود ، بينما الطائفية تعتبر. توجه سياسي المقصود به تحقيق غايات و امتيازات من خلال توظيف الطائفة و إظهار مدى تميزها عن الأخرى لهذا تعتبر الطائفية ميلاً فردياً أو اجتماعياً لتبني وجة نظر معينة أو مدرسة فقهية لمذهب محدد دون سواه من المذاهب الأخرى ، ، إذا ما أدركنا أن وجهة النظر تلك تتأثر بأوضاع اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية ، إلى جانب أن صفة التعصب تدخل في نطاق جعل دين أو مذهب مفضلاً على الأديان و المذاهب الأخرى ، وهذا التعصب قد يزداد ليبلغ حد ممارسة العنف ضد الغير أو الانعزال عنهم ومنه تنتج الطائفية عن علاقة الدولة أو صلتها بمجتمعها المتعدد إلى جانب إدارتها السيئة لذلك التعدد ، فمن الممكن أن تنتمي الطائفية إلى تكوين سياسي أو اجتماعي و إنساني ، و هي بهذا تشكّل الطائفية غير أنه يتم استثمارها بغية تحقيق أبعاد سياسية (حكيم, 2016, ص52).

ولا ريب أن هناك عدة أسباب لظهور الطائفية يمكن اختصارها بالتالي :

1- الأسباب التاريخية: إن الأحداث التاريخية المتعددة التي مرت بها معظم الدول كانت هي السبب الرئيسي في ظهور الطائفية و انتشارها ، فقد تم توظيف تلك الوقائع أو الأحداث بغية تحقيق مصلحة مستثمري الطائفية من رجال دين أو أحزاب سياسية أو حتى بلدان خارجية.

2- الأسباب السياسية : إن الحكومات الديكتاتورية أو التي تتمثل بقوى الإحتلال او المدعومة من قبل النفوذ الخارجي أو النظم الاستبدادية تؤمن في العادة بشكل مطلق بالقاعدة التي تقول فرق تسد التي غالباً ما استخدمتها القوى التي رغبت في السيطرة على الشعوب مع الأخذ بعين الاعتبار أن العديد من النظم الاستبدادية تقمع الأقلية بشكل أكبر أو بالعكس فإن المجتمع آنذاك قد انقسم إلى قسمين :

الأول كان حليفاً للنظام على اعتبار أنه مستفيد منه وأصبح أحد أدوات قمعه .

أما القسم الثاني فكان متهم و منبوذ ومضطهد ومطارد بسبب مخالفته لتلك النظم المستبدة وذلك من شأنه تعميق الفجوة بين مكونات ذلك المجتمع.

3- الجهل : يعتبر الجهل أرضية خصبة للتطرف بجميع ألوانه وأشكاله المناطقية والقبلية وسواها ولعل أكثرها خطورة التعصب المذهبي والتعصب الديني وهذا بسبب إضفاء عامل القدسية المتوهمة أو المدعاة وهذا لأن كلاً من الأمية والجهل يمكن أن تقدم شكلاً من التدين فيه الكثير من صور التعصب والسطحية والخرافة وتحديداً إذا ما قامت أيدٍ خبيثة باستثمار عامل الجهل وتوظيفه نحو إثارة العصبيات وتأجيجها لأهداف خاصة بها سواء كانت هذه الأهداف سياسية أو من اي نوع آخر .

4- الأسباب الدينية : إذ تعتبر بعض التأويلات المتباينة لنصوص الذكر الحكيم والأحاديث النبوية الشريفة إلى جانب بعض الاجتهادات التي تنأى عن الحقيقة من الأبواب التي فتحت المجال بشكل واسع للفتن الطائفية في المجتمعات الإنسانية وتحديداً إذا ما ترافقت بالتطبيق الفعلي لتغدو بصورة تعصب أعمى بعيد عن قواعد الدين الإسلامي ومبادئه الذي يرتكز على آليات الحوار البنّاء والهادف مع الغير (عبد اللطيف ,العرداوي ،2016، ص277).

المبحث الثاني: دور الاعلام السياسي في تأجيج الصراع الطائفي في العراق

سنتناول في هذا المبحث دور الاعلام السياسي في تأجيج الصراع الطائفي في العراق، وذلك من خلال الآتي:

أولاً: الدعاية في الاعلام السياسي ودورها في تأجيج الطائفية

يوجد ارتباط تاريخي بين كل من الاستعمار والطائفية فالاستعمار لا يحل بأرض إلا وكانت الطائفية هي أبرز أسلحته من خلال استغلال مفهوم الأقليات في تلك الدول وذلك بغية استخدامها واللعب بورقتها في وجه الغالبية كما حدث في الدول العربية والإسلامية خلال فترة كل من الاحتلال العثماني ،الفرنسي ، الفارسي ، الإيطالي ،البريطاني وسواه فلم يبدو مفهوم الطائفية كأزمة ومشكلة سوى في القرنين الأخيرين تحديداً وذلك في ظل تأثير عوامل خارجية وأخرى داخلية في ظرف تاريخي محدد ساهم في إحداث نزع من التفاعل بين كل من العوامل الداخلية وبين المؤثرات الخارجية.

والحركة الصهيونية العالمية قامت باستثمار موضوع الطائفية عن طريق التعرف عليه من أدبيات ومحاضر مؤتمرها العالمي في بازل في سويسرا سنة 1879.

وفي العصر الحديث قامت الولايات المتحدة الأمريكية وهي الحليف الاستراتيجي لإسرائيل باستثمار موضوع الطائفية من خلال تقديم الدعم لبعض الطوائف التي تتميز بالتطرف العقائدي في المنطقة العربية الإسلامية وذلك بغية زيادة العنف فيها وجعلها منشغلة عن التفكير في مواجهة إسرائيل أو خوض حرب ضدها أو مهاجمتها (صبار, 2015)

وفي هذا السياق يعتقد زيغنوبريجيتسكي وهو مستشار الأمن القومي في فترة حكم الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر وهو في مقدمة من دعا إلى تفكيك النظام الإقليمي العربي وتشكيله من جديد على أسس مذهبية وعرقية وطائفية .

إن أفضل طريقة لتفكيك الدول والأنظمة والشعوب هي ترسيخ التعدد الطائفي والمذهبي والعرقي عن طريق دعم طائفة بحد ذاتها وتمكينها على حساب باقي المكونات وبهذا فإن تلك المجتمعات سوف تعاني من مشكلة مستمرة ترتبط بخلق الانسجام النسيجي فيما بينها

وهذا نجده بشكل واضح في بعض صور النزاعات الدائرة بين كل من تركيا وإيران وأيضاً بين السعودية وإيران وما لهذه البلدان من محاور تدخلت فيه بلدان أخرى.

وهذا الصراع يؤدي إلى فتح صفحات مشروع كبير يتعلق بعقد سياسية أكثر ما تكون دينية وهي أحد الوسائل المتبعة لتطبيق ما يطلق عليه الفوضى الخلاقة والتي أعلنت عنها الإدارة الأمريكية بشكل رسمي على لسان الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الابن والتي تدعو لتكوين شرق أوسط جديد (محفوظ, 2011).

وفي أحيان كثيرة يتم تكريس الطائفية السياسية من قبل ساسة يقومون باستغلال المذهب أو الدين للحصول على ما يسمى بالعصبية كما سماها ابن خلدون أو الشعبية كما تسمى في عصرنا الراهن ليغدو السياسي الانتهازي له القدرة على بلوغ السلطة فمجرد الانتماء إلى مذهب محدد أو طائفة معينة لا تجعل الفرد الذي ينتمي الى تلك الطائفة (طائفياً) إلى جانب أن سعيه لتحسين أوضاع طائفته أو منطقته التي يعيش فيها دون إلحاق الضرر بالغير لا يجعل منه طائفياً كذلك غير أنه بشكل عام الطائفي هو الذي لا يقبل بالطوائف الأخرى ويرفضها ويسلب حقوقها منها ويجعل طائفته تكتسب تلك الحقوق التي هي من حق غيرها وذلك تجاهلاً لها أو تعالياً عليها أو تعصباً ضدها (محفوظ ,2011).

من خلال ما سبق ذكره فالطائفية هي السعي للتأثير على الرأي العام وسلوكيات المجتمع بشكل عام من خلال توظيف معتقدات ووجهات نظر وآراء دينية محددة قد لا تكون صحيحة بالضرورة بغية تحقيق غايات ومكاسب سياسية أو اقتصادية ليست مشروعة .

والمقصود بالدعاية الطائفية هي السعي للتأثير في الرأي العام و في سلوكيات المجتمع من خلال توظيف معتقدات ووجهات نظر وآراء دينية محددة قد لا تكون صحيحة بالضرورة بغية تحقيق غايات ومكاسب سياسية.

لقد باتت الدعاية الطائفية في زمننا الراهن أكثر تأثيراً وقوة نتيجة بروز ما يعرف بوسائل الإعلام الجديد واستعمال وسائل جديدة في إيصال المعلومة وبث الأخبار إلى جانب ظهور مواقع التواصل الاجتماعي وكذلك استخدام التقنيات التكنولوجية المتطورة والحديثة في مختلف وسائل الإعلام.

وفي المنطقة العربية تعمل الكثير من مؤسسات الإعلام ذات التوجهات المختلفة والتي تقف خلفها أجندات إقليمية وسياسية يتم بثها للجمهور العربي وفي نفس الوقت تغذي الطائفية وتثبت جذورها لدى الجمهور السلفي وتسعى في ذات الوقت لنسف روح الانتماء والمواطنة بغطاء ديني ومن المؤسف أنها باتت تؤثر بشكل كبير فقد بات للطائفية جمهور واسع فعلى سبيل المثال عندما نتحدث عن ما يسمى بالدعاية الطائفية فيكون العراق خير مثال على ذلك فالعديد من المروجين للدعاية الطائفية يتحدثون عن وسائل وأمور تثير الفعل ورد الفعل الطائفي لدى أفراد المجتمع بشكل عام مثل الحديث عن (التقسيم الطائفي، مكونات الشعب ،الواقع الجديد وسواها من القضايا) التي تعمل على ترسيخ الفكر الطائفي من ناحية وتؤمن مناخ صحي لظهور أطراف محددة في المجتمع تسعى لتغذية هذه الأمراض المجتمعية لضمان استمرارها وبقاءها على مسرح الأحداث وبعد ذلك ازدياد نفوذها و هيمنتها عليه .

ويضاف إلى ذلك فان البعض من تلك القضايا المذكورة سابقاً خاطئ من الناحية العلمية وظلت تمثل جدلاً واسعاً بين الفئات المختلفة (الهيتي, 2013, ص19).

تتوافق وجهات نظر الكثير من المختصين والباحثين في الأمور الإعلامية والسياسية بأن الواقع الطائفي والتشرذم الذي اتصف به بعض فئات وأطراف المجتمع العراقي بعد عام 2003لم يكن له جذور ثابتة وحقيقية في المجتمع على الرغم من الأخطاء الكثيرة التي يسعى البعض لتحليلها بشكل إيجابي فيعكس عنها صور ليست منطقية .

فبعض أمثلة النزاع الداخلي أو الصراع الداخلي تجسد في واقع الأمر صراعاً بين قوى إقليمية ودولية لكنه يعتمد على مبررات طائفية أو صراع مصالح وتعدد سلطات لا تتوافق على إدارة البلاد وهو ناتج عن أسباب متعددة أبرزها ضعف بعض أركان الدولة العراقية أو المجتمع العراقي وهو ناتج عن الممارسات التي قام بها الاحتلال الأمريكي والذي كان له مساهمة كبيرة في تدمير جزء واسع من مؤسسات الدولة العراقية ومن بنيتها المجتمعية وساهم الأداء القاصر والغير منضبط لبعض الأطراف الدينية والسياسية في زيادة ذلك فقد سعت من خلال دعايتها الطائفية تساندها آلاتها وأدواتها الإعلامية للترويج بصورة أو بأخرى للفكر الأيديولوجي الذي يعتمد على الطائفية والتي تصور الطرف الآخر بأنه هو العدو الأول وبالتالي تحاول بناء فكر لمجموعات ذات أفق محدود على قاعدة تمزيق وإضعاف البنية الكلية للمجتمع العراقي.

و بالاطلاع على أساس إشكالية الطائفية في العراق ، نرى أنها غير اجتماعية الأساس أو البنية ، بل يوجد بعض من يؤمن و يدعم هذا النوع من الأفكار المحدودة و الضيقة و من أصحاب المصالح الإقليمية ، و يمتلكون إمكانيات إعلامية و خطابات تكون قاعدة لدعاية سياسية طائفية تنشر رسائلها في المجتمع ، و بالتالي تنتمي لهذه الآراء و المعتقدات العقيمة وجعل المجتمع مفتت و تحويله إلى كنتونات متصارعة (خرفية , جفال, 2021, ص723-724).

وفي هذا الإطار الإعلامي ذكر الكاتب الأمريكي نعوم تشومسكي في الكتاب الذي ألفه (هيمنة الإعلام : الإنجازات المذهلة للدعاية) بأن الدعاية التي تكون تحت رقابة الدولة و إشرافها عندما تساندها الفئات المتعلمة وحين لا يتيح أي انحراف عن الهدف و بإمكانها إحداث أثر واسع ، وكان ذلك أحد الدروس التي تعلمها هتلر و غيره و يتم انتهاجه حتى يومنا هذا.

لهذا فإننا قد نجد ظهور دعاية سياسية عراقية تدعمها قوى سياسية لديها الكثير من المقومات منها (المال ، السلطة ، المقدرة على التوجيه) إلى جانب استعمالها لوسائل الإعلام الجديد و وسائل التأثير و الاتصال المتعددة ، و وسائل التواصل الاجتماعي بأنواعه المختلفة ، و أيضاً الوسائل التقليدية التي قد يكون تأثيرها أكثر قسوة مثل بعض المؤتمرات و الخطابات السياسية

المتوترة فمن خلال الاطلاع على ما اشتمل عليه خطب بعض السياسيين العراقيين على اختلاف توجهاتهم الطائفية و السياسية و انتماءاتهم ممن يقومون بالترويج للطائفية ، أكدت بأن العديد منهم ينبه جمهوره من العدو الداخلي للآخر بمسميات شتى للطائفة الأخرى ، و بالتالي بات يوجد مسميات مشهورة و يتم تداولها من أجل التعريف بالطائفة الأخرى إلى جانب أن هذه الخطب داعمة للهجوم على الآخر بصيغ تحريضية في بعض الأحيان و ترهيبية في أحيان أخرى ، و ترى أن الآخر غريب عن المجتمع و لا ينتمي إليه ، و مما سبق ذكره نستخلص أن الطائفية بجميع صورها و أشكالها ومن خلال داعميها و الدعاة لها ، تحاول الوصول إلى هدف رئيسي ، وهو جعل الدولة و المجتمع العراقي الحديث مفتت و مقسم ، وقد حققت بعضاً من غاياتها في المراحل الأولى بعد سنة 2003 وما تلاها ، غير أنها و بعد التحولات التي شهدها المجتمع بشكل عام تراجعت و تقلصت (الهيتي, 2013, ص19).

ثانياً: سمات الخطاب الإعلامي لوسائل الإعلام السياسي العراقية بعد الاحتلال الأمريكي :

بات المشهد الإعلامي في العراق يعكس صوراً مؤسفة لممارسات تحمل بين طياتها خطاباً إعلامياً تمت برمجته لمصلحة الانتماء الطائفي في العراق ، أكثر مما هو لصالح الوطن عن طريق ما يلي :

1- وقوع الإعلام في العراق في دوامة الصراعات الطائفية و القومية و الحزبية و السياسية و الفئوية لأسباب تتعلق بخلفيات بعض الأحزاب و الأجندات الخارجية التي تتبعها ، و عدم فهم الكثير منها للفكرة الحزبية و ممارسة الديمقراطية في العراق .

2- تنوع وسائل الإعلام ويكون هذا التنوع إيجابي في حال كان هدفه بناء الإنسان العراقي الجديد ، و العمل على توعيته بوحدة أراضي العراق و خطورة التقسيم و نشر ثقافة الديمقراطية و تعميق الوحدة الوطنية ، و احترام الرأي الآخر ، غير أن هذا التنوع في الإعلام سلك مسلك آخر لخدمة الأحزاب و التقى بأجنداتها الخارجية.

3- ظاهرة التمويل الإعلامي و الخطورة التي يسببها على مستقبل و استقلال الإعلام في العراق ، تحديداً إذا كان هذا التمويل من الخارج و الهدف منه تحقيق غايات سياسية ضد مصالح الوطن و ليس غريباً أن بعض الفضائيات و الصحف تم تقديم الدعم لها من قبل بلدان مجاورة للعراق أو بعيدة عنها أو من قبل الاحتلال ، بحيث بات التمويل امتيازاً لاستمرار البعض على حساب صحف قومية و وطنية وقفت في وجه الاحتلال من الناحية الإعلامية ، غير أنها لم تتمكن من مقاومة الاستمرار لأسباب أمنية (خرفية، جفال 2021, ص727-728).

إذا كانت تفجيرات الفتنة الطائفية من أجل قتل الضحايا الأبرياء على هيئة سيارات مفخخة تعتبر جريمة بحق الوطن و الشعب ، فإن تفجيرات الفتنة الإعلامية و التي جرى تفخيخها ضمن وسائل الإعلام في العراق كذلك تعتبر من الجرائم البشعة ولاتقل بشاعتها عن جرائم قتل العراقيين بكل دم بارد ، لكونها تحاول تأجيج الفتنة ، و نحن اليوم نرى ظهور صحف دينية و حزبية لها انتماءات طائفية تبث ثقافة الولاء للطائفية ، و الأكثر خطورة هو السباق الحاصل بين الطوائف و الأحزاب و المذاهب على إنشاء أو تأسيس فضائيات و إذاعات أغلبها تبشر بالثقافة الطائفية و تعمل على تهميش و إلغاء الآخر تحت العديد من المبررات ، ليتم إضافة فتنة حريق الإعلام الطائفي الأجنبي و بعض القنوات الإعلامية العربية إلى المشهد الجديد في العراق وذلك من أجل صناعة خطاب الفتنة و التحريض ، ليغدو المشهد في العراق مشهداً إعلامياً للصراع بين القوميات و الطوائف و الأديان ، هذا ولم يكن مشهد الإعلام منفصلاً عن الحياة السياسية في العراق من تقسيم حصص عرقية و طائفية و دينية في سياق إدارة الحكومة و قطاعات الصحة و التعليم والاقتصاد ، و هذا من دون أدنى شك سياسة الاحتلال منذ أن دخل العراق ، و الذي تمثل في قانون جريمر و الذي يخص إدارة دولة العراق والذي زاد من المحاصصة من أجل تأجيج الحرب الأهلية و جعل العراق مقسّم ومن بين تلك الظواهر حرية إطلاق القنوات و كذلك الحرية الإعلامية في العراق ، وتم استثمار هذه الحرية ضد الوطن و وحدة أراضيه لمصلحة تكتلات قومية و دينية و أحزاب سياسية فضّلت تقديم مصلحتها القومية و الطائفية و العرقية على مصالح الوطن عن طريق خطابات عنصرية و طائفية و دعائية بحيث بات المشهد الإعلامي في العراق مقارب للمشهد السياسي فيوجد قنوات سنية و شيعية و كردية تدافع عن قوميتها و طائفتها مثلما يوجد أحزاب سنية و شيعية و كردية.

وهكذا باتت هذه الفضائيات منابر إعلامية لإشعال الصراعات و النزاعات السياسية بين الطوائف و الأحزاب و الأديان و القوميات ، و وسيلة تأجيج لإشعال شرارة الحرب الطائفية و تعميق ثقافة المصالح و المحاصصة و إثارة الدوافع النفسية و

الغرائز من خلال استذكار الماضي و اختيار الأحداث بمعايير مزدوجة ، و ينبغي الوقوف عند بعض الظواهر الأساسية عند مناقشة ظاهرة الفضائيات في العراق (البياتي, 2013, ص8):

1- كانت ولادة هذه الفضائيات في وسط سياسي مليء بالصراعات في ظل الاحتلال ، و هذا الوسط خلق و أوجد أنماطاً إعلامية تم استنساخها من الواقع السياسي في العراق و ماهية العملية السياسية و طبيعتها و التي تقوم على ظاهرة المحاصصة الطائفية ، وهذا يجعلها في أغلب الأوقات تعبر عن تكتلاتها و أحزابها بشكل غير محايد في تناول الأحداث و الأخبار و الوقائع .

2- مسألة تمويل هذه الفضائيات ، فمن المتعارف عليه أن إنشاء أو تأسيس فضائية عبر الأقمار الصناعية يتطلب مبالغ كبيرة لتوفير المعدات و الاستديوهات و الأجهزة و تكاليف العاملين ، وما يدعو للريبة هو ظهور العشرات من الفضائيات بعد الاحتلال بشكل مباشر من قبل أشخاص و أحزاب ، و مما يدعو للشك وجود جهات دولية و إقليمية خلف إنشائها لتحقيق مكتسبات سياسية .

3- عدم تواجد المهنية في هذه الفضائيات ، و التي كان لها تأثيرها في نوعية الخطاب الإعلامي و التوجهات السياسية له و العمق الثقافي و المهني له ، و يتميز أداؤها بالضعف و الركاكة إلى جانب افتقارها للكوادر الإعلامية المدربة و المؤهلة و ذات الكفاءة الجيدة ، و كذلك هذه الكوادر تفتقر إلى أخلاقيات الإعلام و رسالته النبيلة بسبب عدم حياديتها و انحيازها إلى قوميتها و طائفتها أو حزبها السياسي من دون أن تراعي الموضوعية و الحيادية .

4- ظاهرة الفضائيات الدينية و التي لها توجهات طائفية صادرة من مرجعيات دينية متعددة ، و تكريس الانتماء للقومية و الطائفة ، فيوجد فضائيات لا تُعنى سوى بمواضيع الشيعة و قضاياها ، و أخرى لا تُعنى سوى بمواضيع السنة و قضاياها و جميعها تحاول استعمال أسلوب الدعاية المبني على تأجيج العواطف و إلغاء الآخر و إضعاف ثقافة الوحدة الوطنية و المواطنة.

5- عدم وجود سياسة إعلامية لهذه الفضائيات فهي تتجه إلى المحلية في نقل الوقائع و الأخبار وفق آراء دينية و حزبية أو قومية لترسيخ فكرة الانتماء القومي أو الطائفي ، و السعي لكسب الناس بخطابات تكرس المفهوم القومي أو الطائفي أو العرقي في ظل مبدأ سياسة الدفاع عن مصلحتها و جعلها مجردة من الانتماء الوطني ، و بات ميدان معارك إعلامية طائفية و فئوية بين الفضائيات لتأجيج النعرات الطائفية و زيادتها و ترسيخ الحقد القومي و الطائفي ، و شحن الأحداث و إثارتها بإرث الماضي ، و نشر ثقافة الانفصال تحت عنوان تحقيق المصالح ، و السعي لجعل الانتماء الوطني في النفوس ضعيف و جعله مرتبط بالمكاسب المادية (البياتي, 2013, ص8).

ثالثاً: انعكاسات التأجيج الاعلامي السياسي الطائفي على الوحدة الوطنية:

اتصفت ظاهرة الطائفية بالكثير من الميزات و السمات ، وكان في مقدمتها تغير الأدوات والمفردات و آليات العمل مع تغير المكان و الزمان ، و كذلك عدم الثبات لتشكل خطراً نتيجة الانتشار السريع لها و تأثيرها و منعكساتها الخطيرة التي تدمر المجتمعات الإنسانية ، و التي تتوزع بين السياسي و الديني و الأمني و الثقافي .

ففي الوقت الذي تتداخل الكثير من التأثيرات السياسية مع الثقافية و الدينية ، فالحركات الإسلامية تلعب دوراً هاماً في ميول و توجهات التصرفات السياسية لقطاع واسع من المجتمع و نخبه السياسية ، ليغدو هناك تداخل واسع بين السياسة و الدين ، من خلال تسييس ظاهرة التعدد الطائفي و الذي تقوم به بعض الجهات التي تعتمد على الإسلام السياسي و تتبناه ، سواء التي تقوم بتمثيل الدولة أو جماعات فاعلة من خارجها ، أو من تقوم بتمثيل قوى خارجية ، وهذا له تأثير سلبي على المجتمع ، و تجعل التنوع المفيد يتحول إلى نزاع أو تناحر طائفي يفضي إلى تهديد وحدة المجتمع مع امكانية انهيار الدولة الوطنية و إعادة تشكيلها على قواعد طائفية بحتة ، و مبنية على هويات فرعية (محيسن, 2017, ص22-23)

فيما تظهر المنعكسات الأمنية للظاهرة في النظم و المجتمعات التي لا مناعة لها ضد اندلاع الصراعات المذهبية والطائفية و إلحاق الخلل بأمنها و استقرارها على الصعيد الداخلي ، و انتشار المجموعات التي تقوم باستخدام العنف و ارتفاع دلالات التقسيم و إخفاق الدولة و تحديداً تلك التي تستخدم الطائفة و الدين ستاراً لها ، و فقدان هيمنة الدولة على الأوضاع الداخلية ،

وهذا ما يجعل احتمالية انتقال الصراع إلى مناطق إقليمية أخرى تزداد ، إلى جانب وجود آثار خطرة جداً تتجسد في بروز التيارات أو الحركات المتطرفة و المتشددة ، و التي تتبع أساليب تعتمد على التهجير و القتل و إقصاء الآخر سبيلاً لها في تحقيق غاياتها ، وفي السياق ذاته فإن التأثيرات السلبية للطائفية تتجسد أيضاً في الناحيتين الثقافية و الدينية من خلال ربط أي صورة من صور التنافس الاجتماعي أو السياسي بصيغة طائفية أو دينية و جعل الخطاب الديني موظفاً لتأطير بعض الوقائع و الأحداث التاريخية و السياسية ، و الانتفاع من تباينات المجتمع في تحقيق بعض الغايات و المصالح الذاتية (محيسن, 2017, ص24-25).

إلى جانب أن التطورات المتسارعة التي تعرضت لها المجتمعات الإنسانية و تزايد صور و أشكال الطائفية فيعل أدت إلى تداول بعض المصطلحات الحديثة ، من ضمنها مصطلح الاعلام الطائفي ، و والذي معناه استخدام بعض النظم السياسية و القوى الطائفية للمذهب و الدين كوسيلة للتأجيج و التحريض الطائفي ، و ذلك عن طريق شتى الوسائل و المنابر الإعلامية و التحريض الطائفي هدفه تحقيق ثلاث أهداف محورية (الشيوخ, 2014) :

1- حشد عدد كبير جداً من المؤيدين و الأتباع للمعركة الدائرة .

2- رفع مستوى القضية المتنازع عليها إلى درجة القداسة و جعلها من الحرمات .

3- منح المعركة الدائرة صفة شرعية ، لهذا في الغالب يجري تصوير المعركة مع الطائفة الأخرى بأنها معركة حق أو باطل.

ورغم أن الشعب العراقي يجمعه العديد من القواسم المشتركة منها الدين و اللغة و الثقافه ، غير أنه مجتمع مكوّن من مذاهب و طوائف مختلفة، ومن الممكن أن تكون هذا التنوع مصدر قوة و إثراء ، غير أنه من المؤسف أن هذه التعددية بات لها تأثير سلبي أحياناً ، ليس بحد ذاتها بل لأنها غير موظفة بصورة صحيحة ، إلى جانب الدور الذي يلعبه الاحتلال الأمريكي في توظيف هذه التعددية لمصلحته ، وأيضاً لا يمكن التغاضي عن الدور الفاعل لبعض البلدان الإقليمية في تغذية هذه الصراعات إضافة إلى دور الأحزاب السياسية المتعلقة بأجندات خارجية في ضوء جغياب دولة المواطنة ، وعدم تواجد هوية تجمع الكل وهذا الأمر جعل العراق مكاناً مناسباً للانقسامات و تغذية الصراعات الطائفية.

ومن أبرز طرق التوظيف الاعلامي السياسي للعامل الطائفي في العراق (الصفا ,2009) :

1-إشاعة خطاب الكراهية من خلال شتى وسائل الإعلام.

2- الترويج للفتاوى التي تحرض على الذبح و التفجير و التكفير .

3- نشر مشاهد العنف و التحريض و التأجيج الطائفي .

4-التفاخر بتفجير أماكن العبادة و اغتيال الرموز الدينية و الإساءة لهم.

5- تصوير النزاعات الاقتصادية و السياسية باعتبارها حرباً طائفية.

و كمثال على مقدار توسع الدور الذي تلعبه الدعاية الطائفية في بث خطابات الكراهية و الذي كان له مساهمة كبيرة في تغذية الانقسام المذهبي و الصراعات الطائفية ، و ازدياد عدد القنوات الدينية التي تمثل طائفة محددة في العراق عبر الأعوام الماضية ، و انتشرت هذه الظاهرة في العديد من بلدان المنطقة و ليس في العراق فقط ، فازداد عدد القنوات الفضائية العربية من 35 قناة في سنة 2009 إلى 135 قناة في سنة 2013، و ارتفع العدد في آخر ستة أعوام و البحث عن السر في ارتفاعها المضطرد الذي خلفه العديد من العوامل منها : عمل كل دولة عربية إلى تأسيس قناتها الدينية بغية فرض فهمها الوطني للدين و للإسلام بصورة خاصة ، و ازدياد مطالبة النخب الليبرالية بأهمية إصلاح الفكر الديني من أجل مواكبة العصر ، و اتجاه الرأس مال العربي الخاص إلى الاستثمار في الفضائيات الدينية وهذا واضح من خلال ازدياد عدد قنوات التلفاز المخصصة للوعظ و الفتاوى الفضائية ، و ترتكز إلى ما بات يُعرف ب (الفقيه الفضائي) و مفسر الأحلام بحسب شريعة الإسلام ، و قارئ البخت و الطالع ، و يؤكده انتقال بعض قنوات التلفاز من بث الطرب و المنوعات إلى بث الدعوة الدينية (الصفار ، 2009، ص56) .

و قبل تناول آثار التحريض الطائفي على الوحدة الوطنية فإن نواتج توظيف هذا السلاح الخطير اتسع ليصل إلى عدة مناطق بالعالم ، بمعنى أنه لم يبق حصراً على جغرافيا المنطقة فقط ، وقد أصبح العالم اليوم يدفع الثمن الباهظ نتيجة ما يجري في المنطقة العربية ، وفي هذا الإطار بدأت تترسخ قناعات لدى العديد من الدول تفضي إلى: أنه لا يمكن لأي دولة أن تقضي على الإرهاب بشكل منفرد ، ومنه فإن المهمة تستدعي أن تتكاتف كافة الجهود الدولية في هذا الصدد ، فقد أصبح الإرهاب حالياً يشكل ظاهرة عالمية وليست حالة موجودة في مكان جغرافي معزول عن العالم ، إلى جانب أن الإرهاب الذي يجري في المنطقة له منعكسات خطرة سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي أو العالمي (محفوظ, 2011).

و فيما يرتبط بآثار التأجيج و التحريض الطائفي على الوحدة الوطنية فمن الممكن تحديدها بالتالي :

1- زيادة حالة الكراهية و النزاع بين مختلف الهويات .

2- ارتفاع درجة الاحتقانات و الاصطفافات المذهبية .

3- ازدياد الأصوات الطائفية و غياب الخطاب المعتدل .

4- إنهاء وضع التعايش السلمي بين مختلف الطوائف .

5- تحريض الجماعات الإرهابية على القتل .

6- تهديد استقرار الدول العربية من الناحية الأمنية و السياسية .

7- تغليب المصالح المذهبية و الطائفية ذات الآفاق الضيقة على المصلحة العليا للوطن .

و الحقيقة التي يجب الانتباه لها هي أن كل مظهر من المظاهر سابقة الذكر يؤدي إلى تفكيك الوطن و تمزيقه و زجّه في حروب و نزاعات طويلة الأجل ، فكيف يكون الوضع إذا ما اجتمعت كلها في دولة معينة ،وعلى المدى المنظور قد يحقق النظام السياسي الذي يعوّل على الورقة الطائفية بعض المكتسبات اللحظية ، غير أنه على المستوى البعيد سوف يدفع ثمناً باهظاً لأن اللعب على الوتر الطائفي مثل اللعب بالنار (محفوظ, 2009).

المبحث الثالث: دور الاعلام السياسي في اخماد الصراع الطائفي

سنتناول في هذا المبحث دور الاعلام السياسي في اخماد الصراع الطائفي وذلك من خلال الآتي:

أولاً: تأكيد الشعور بالهوية الوطنية:

من خلال ما تقوم وسائل الاعلام السياسي من تقديمها من معلومات وما تتناوله من مواضيع وقضايا متعددة تلعب دوراً هاماً في ترسيخ الشعور بالوطنية عن طريق نقل إرث المجتمع سواء عادات أو تقاليد أو لغة وترسيخ الروابط الثقافية والتاريخية والسياسية والاجتماعية في الأنفس وبث روح الانتماء الوطني والولاء وتعميق الروابط بين شرائح المجتمع والحكومة إلى جانب عملها على إشاعة قيم التوحد الاجتماعي بين الأفراد في المجتمع وهذا من خلال تغيير أو تشكيل أو تعديل أو دعم توجهات الحياة الاجتماعية المنظمة وفقاً للثقافة المنتشرة أو الاستجابة من خلال العلاقات الاجتماعية والالتزامات التي تفرضها الجماعة ووجهات النظر المتعارف عليها في المجتمع ولا يتم ذلك سوى عن طريق الضمير الجماعي والأحاسيس الإيجابية المتعددة وتبني عملية التطبيع الاجتماعي من خلال تنمية هذه الروح والمشاعر والحفاظ عليها وينبغي التنويه ان الوسائل الإعلامية هي الوسيلة المثلى التي من الممكن استخدامها لإحداث التغيير في المجتمع وتعزيز التنمية الوطنية والسياسة والاقتصادية (بسيوني, 1997, ص291).

إن تحقيق التفاعل والتوافق والانسجام بين أفراد المجتمع يفضي إلى تبادل المصالح المشتركة والعمل بشكل جاد من أجل المصالح العامة والخاصة بشكل متساو.

حيث أن الاهتمام يتحول من الشؤون المحلية إلى الشؤون الوطنية فالانسجام والتجانس ضمن الجسد الاجتماعي والسياسي الواحد لا يتحقق سوى عن طريق تجاوز الولاءات الضيقة وغرس الإحساس بالولاء للدولة والمؤسسات المركزية الموجودة فيها وخلق شعور مشترك بالهوية الموحدة والتضامن وتحديداً أن عدم تحقيق التكامل السياسي بين أبناء الأمة يفضي إلى غياب تواجد الرابط وإلى عرقلة التواصل فيما بينهم إلى جانب صعوبة بناء الدولة التي تحتاج تكاتف جهود كافة الأفراد في المجتمع (امين, 2002, ص 171).

وتلعب وسائل الاعلام السياسي دوراً هاماً عن طريق محاولات الإقناع المتعاقبة بغية خلق المناخ لوحدة الأمة من خلال تحقيق الانفتاح بين القادة والشعب وبين الشعب والقادة والسعي لتعميق القيم الأصيلة الطيبة وصقلها وتهذيبها والوقوف في وجه المعتقدات والمفاهيم الضارة والعقيمة وعدم القبول بها إضافة إلى صياغة الشخصية النشطة الإيجابية والتي تملك طموح فعال ومنفتح على الآخر ، التي تسعى للتماشي مع ركب التقدم و الاتجاه للمنافسة البناءة بهدف بناء الأمة و تحقيق أهدافها و تطلعاتها ، فالإنسان الذي كان بالدرجة الأولى مواطن قرية بات مواطن أمة و حدث ذلك نتيجة وسائل الاعلام السياسي (الخاجة, 1989, ص689) ، إلى جانب أن امتداد نسق التواصل مع الناس إلى البيئات المختلفة و التعبير عن آرائها و السعي لتحقيق المصالح العامة يساهم في تعزيز الشعور بالقومية والشعور بالمشاركة وبناء الوعي القومي.

ويوجد في كل أمة أغلبية من الناس تعبر عن فخرها بأمتها وتحمل شعور الكبرياء الوطني بحيث يمتزج الإحساس بالهوية الوطنية بشعور الانتماء لمجتمع سياسي ليكونا معاً ثقافة سياسية .

غير أن هذه المشاعر متفاوتة من مجتمع إلى آخر فعلي سبيل المثال في ألمانيا الغربية هنالك إحساس قوي وتحديداً بين شريحة الشباب مفاده أن التطرف الوطني الذي كان سائداً في الماضي ينبغي ألا يتكرر لهذا تلافت التطرق لكثير من الرموز التي تسبب إثارة المشاعر الوطنية المنتشرة في أمم أخرى ويوجد عدد قليل من أعياد إحياء الذكرى أو الأعياد السياسية ومن النادر عزف النشيد الوطني لدرجة أن ذكرى تأسيس الجمهورية الاتحادية لا تحظى إلا بالقليل من الاهتمام الشعبي رغم أن أغلب المواطنين يفتخرون بأنهم ألمان فهم يتلافون الارتباط العاطفي المطلق بالأمة والدولة (دلتون, 1996, ص259-260).

ثانياً: إدارة الصراعات السياسية :

وسائل الاعلام السياسي لها مساهمة فعالة في التصدي للصراعات عن طريق زيادة حجم المعلومات التي تتعلق بالأحداث و القضايا المهمة التي تحتاج المعرفة كقوة دفع لاتخاذ مواقف صحيحة تجاهها.

وكلما ازداد حجم المعلومات الصائبة بين أفراد المجتمع يصبح من الصعب نشوء الخلافات والتباينات المتبادلة بينهم والتي تنتج عن المعلومات المشوهة أو الجزئية وأيضاً فإن وسائل الاعلام السياسي تساهم في إيجاد حلول للصراعات والنزاعات ضمن المجتمع من خلال قيام معلوماتها بتغطية جميع الآراء ووجهات النظر عوضاً عن معرفة جانب واحد من الحقيقة قد يؤجج جانباً من النزاعات فالمعلومات الدقيقة والكاملة تمنع تطور الأمور إلى الأسوأ.

وتعمل وسائل الاعلام السياسي على نقل المعلومات والأخبار التي تثبت أن النظام السياسي يحاول التصدي للصراعات والأزمات المتجددة والأخطار الافتراضية .

ويعتبر تأكيد ذلك من الأمور الهامة للمحافظة على التماسك الاجتماعي للشعب وهذا معناه تأمين الظروف المناسبة لاستقرار النظام السياسي الموجود ما دام للحكومة القدرة على القيام بمهامها .

وفي فترات الظروف الغير عادية والصراعات والنزاعات تغدو الوسائل الإعلامية السياسية وتحديداً التلفزيون والإذاعة من الأسلحة الحيوية لكل من المجتمع والحكومة والذي لديه الرغبة في أن يكون مطلعاً من أجل المحافظة على الإحساس بالأمان والاطمئنان بأن حكومته تؤمن الرعاية للأمة وتقوم بما هو لازم للتصدي للمستجدات وقد بينت دراسة تم إجراؤها على المجتمع

الأمريكي عن المصدر الأساسي لأخبار الحرب بالنسبة لهم أثناء حرب الخليج الثانية فقد اتضح أن 89بالمئة يعتمدون على التلفاز و8 بالمئة يعتمدون على الإذاعة و2 بالمئة يعتمدون على الصحف.

إلى جانب أن تغطية الوقائع والأحداث الغير عادية تبين الفلسفة الأساسية وطبيعة الصلة الموجودة بين وسائل الإعلام والسلطة السياسية .

وفي فترات الأزمات يولي المجتمع اهتماماً واسعاً للرسائل التي تصل عبر الوسائل الإعلامية وهذا يشير إلى أن مسؤولية وسائل الإعلام تجاه المجتمع فيما يرتبط بالهيمنة على المعلومة و التوجيه تكون متساوية مع مسؤولية الحكومة (عبدالفتاح, 1997, ص 148).

الخاتمة:

بعد الانتهاء من البحث، فيما يلي أبرز النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

- تلعب وسائل الاعلام السياسي دورا بارزا في تأجيج الصراع الطائفي وذلك من خلال الدعاية الطائفية.
- من ابرز أساليب الاعلام السياسي في تأجيج الطائفية إشاعة خطاب الكراهية، والترويج للإرهاب وتصوير الصراعات السياسية بأنها طائفية.
- إن الاحتلال الامريكي ساهم بأن يكون الاعلام العراقي في طوق دائرة الطائفية والعشائرية.
- يمكن لوسائل الاعلام السياسية أن تلعب دورا في اخماد الطائفية، وذلك من خلال تأكيد الشعور بالهوية الوطنية وادارة الصراعات السياسية.

ثانياً: التوصيات

- ضرورة ان تلعب وسائل الاعلام العراقية دور ايجابي في الحد من الاستقطاب الطائفي والسياسي.
- اهمية الاستناد الى أسس العمل الصحفي الموضوعية في تتناول الاخبار والمواد الاعلامية حتى
- يكون له دورا ايجابيا في النقل الموضوعي والحيادي للواقع العراقي.
- ضرورة عمل النخبة السياسية ادواراً فعالة في الحد من الطائفية
- اجراء المزيد من الدراسات للتعرف على دور وسائل الاعلام السياسية في اخماد الصراعات الطائفية في مختلف الوسائل الاعلامية.

المراجع

- ابن منظور (1981). لسان العرب. دار الفكر: دمشق. ج9، ص226
- العرداوي،عليوي (2016). الطائفية واثرها في بنية المجتمع المدني، 2، ص276
- العلواني، (2015). الانقسامات الطائفية في الوطن العربي وآثارها المستقبلية،
- العرداوي (2016) ص276
- العلواني (2015).
- الهيتي، (2013). الدعاية الطائفية والرأي العام العراقي، 19.
- الهيتي (2013). ص728
- البياتي ، مفخخات الطائفية في الاعلام العراقي، ص8
- البياتي (2013). ص8
- الشيوخ، (2014). خطورة الاعلام الطائفي على الهوية .
- الصفا، (2009). الطائفية بين السياسة .
- الخاجة، (1989). وسائل الاتصال والتنمية السياسية في دولة الامارات العربية المتحدة، ص689
- امين، (2002). دور الاذاعة والصحافة المحلية في التنشئة السياسية للمراهقين، ص171
- بسيوني، (1997). وسائل الاعلام والسياسة ،. ص291
- خرفية، سامية (2021). الخطاب الطائفي في وسائل الاعلام العراقية. . ص723-724
- خرفية، (2021). ص727-728
- دلتون، (1996). دور المواطن السياسي في الديمقراطيات الغربية، . ص259-260
- رحيم، (2016). الطائفية ومستقبل النظام السياسي في العراق، ص50
- سليمان (1989)، مدخل إلى علم السياسة، ص 8
- صالح، (2016). الطائفية الدينية وبواعثها وواقعها ومكافحتها، ص33-34
- صبار، (2015). الدعاية الطائفية والرأي العام العربي.
- عبد الفتاح، (1997). دور وسائل الاعلام كأداة في الصراع، ص148
- عبد اللطيف والعرداوي ،2016،ص277
- مجيد (2013)، النصية في لغة الإعلام السياسي، ص .21
- محفوظ، (2009).
- محيسن، (2017). الطائفية السياسية وعدم الاستقرار السياسي في العراق بعد 2003، .ص6
- حسين، (2011). الطائفية ومشكلة الحكم في العراق.
- محفوظ، (2011). الدولة والطائفية في الخليج العربي.
- محفوظ (2011).
- محيسن (2017) ص22-23
- محيسن (2017) ص24-25
- محفوظ (2011)
- Breton (2003), L'argumentation dans la communication, Paris: p116
- Charle (2006), communication horizons de pratique , p 24.
- Chagnolland(2010), science politique, 7 édition, p06
- Écologie politique (étopia), p05.
- Freedman (2005), The Political Impact of media, p89
- Hassenteufel(2011), sociologie politique, p07.
- Muccheilli (2006), les sciences de l'information et de la communication,
- Supérieur, p22.
- Sellier(2006), La communication gouvernementale p16.
- Vincent Georis(2005), La communication politique.
- Walton (1989), la communication politique , p 30.